مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣١ ع ٢، ص ص: ٢٩ - ٥٠ (٢٠٢٣م)
DOI:10.4197/Art.31-2.2

مظاهر العظمة الإلهية في سورة الغاشية: دراسة موضوعية

خالد بن محمد بن صالح الشهراني

قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

المستخلص. لا يخفى على متأمل الكتاب العزيز ومتدبره تنوع الخطاب القرآني وتعدد أساليبه، ويظهر ذلك بوضوح وجلاء من خلال المقارنة بين السور المكية والسور المدنية؛ حيث امتازت السور المكية بأساليب المحاورة والمجادلة، واختصت بمواضع الربوبية ومظاهر العظمة الإلهية، وذلك لأنها نزلت في ظرف صراع واقعي مع الكفار المعاندين والأعداء المكذبين الجاحدين. وسورة الغاشية واحدة من تلك السور المكية العظيمة التي اشتملت على تعداد مظاهر العظمة الإلهية، وتقرير صفات الربوبية في سبيل الإقرار بالألوهية المطلقة والعبودية الشاملة. ويأتي هذا البحث في سياق الكشف عن بعض تلك المظاهر العظيمة الجليلة، والوقوف معها، واستخراج العبر من خلالها، وتدبر معانيها.

الكلمات المفتاحية: مظاهر – العظمة – السورة – الغاشية.

المقدمة

الحمد لله الموصوف بصفات العظمة والكبرياء والكمال، المنزه عن الشريك، والنقص، والشبه، والمثال، وأشهد أنه المنفرد بالوحدانية المستحق لإفراده بالعبودية في كل الأحوال، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنّه مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، فيه من الكنوز العظيمة، والمآثر الجليلة، مما يفنى العمر في استخراجه، ويقطع فيه الحياة للوقوف على أسراره.

ومن أوجه بلاغة هذا الكتاب الجليل وفرادته: تعدد أساليب البيان فيه، وتنوع أوجه الخطابة، ومن صور ذلك: اختلاف السور المكية عن السور المدنية في طرائق البيان وأساليبه؛ حيث إنّ السور المكية قصدت لمجادلة الكفار وتبصيرهم لما فيه الفلاح والنجاح، وإثبات التوحيد وإفراد الله بالعبودية والألوهية.

ومن ذلك أن سورة الغاشية قد اشتملت على تذكير العباد بمظاهر الربوبية للباري جلّ وعلا، وبيان أنّه المستحق للألوهية وحده دون شريك.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عزّ وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحدٍ منهما عذّبته)) [١].

وقد استعنت بالله سبحانه وتعالى في هذا البحث: (مظاهر العظمة الإلهية في سورة الغاشية، دراسة موضوعية) للكشف عن جانب من المظاهر الدالة على العظمة الإلهية في هذه السورة الكريمة.

أهمية الموضوع

تأتي أهمية هذا الموضوع من عدة جوانب، أبرزها ما يأتي:

١- كونه يتعلق بكتاب الله سبحانه وتعالى، الذي هو أشرف كتاب، وأجل كلام.

٢- كونه يتعلق بجانب توحيد الربوبية، وبيان عظمة الرب تبارك وتعالى وقدرته الواسعة.

أسباب اختيار الموضوع

تم اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب، منها ما يلي:

١- مكانة سورة الغاشية؛ حيث هي من أوائل السور المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- تقرير هذه السورة الكريمة على العظمة الإلهية أكثر من جانب من جوانب العظمة.

٣- تقرير هذه السورة الكريمة لأنواع التوحيد كلها.

٤- ما اختصت به هذه السورة من فضائل عظيمة، دلت عليها السنة النبوية المطهرة.

أهداف البحث

١- الوقوف على مفهوم العظمة في اللغة والاصطلاح.

٢- بيان العظمة الإلهية في سورة الغاشية.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٩٧/٢)، في كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، برقم: (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الألباني: صحيح. مشكاة المصابيح (١٤١٤/٣).

٣- اختصار الطريقة للناس عامة، وللدعاة خاصة للوصول إلى الهدايات، والإرشادات والعِبَر من مجموع الآيات المتعلقة بموضوع: (مظاهر العظمة الإلهية في سورة الغاشية، دراسة موضوعية).

الدراسات السابقة للموضوع

وأمّا ما يتعلق بالجهود والدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع: (مظاهر العظمة الإلهية في سورة الغاشية، دراسة موضوعية)، فقد قمت بإجراء عملية بحث واسعة عنها، في أروقة المكتبات العلمية الكبيرة، وكذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية؛ فلم أجد فيه بحثا أو دراسة مستقلاً، وإنما وجدت بعض المقالات المتفرقة تتحدث عن بعض الجزئيات حول فضائل هذه السورة الكريمة وبعض أحكامها.

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات الموضوع، والتعريف بسورة الغاشية.

المبحث الأول: وصف أهوال القيامة، وما يلقاه الكافر والمؤمن فيها من الشقاء والسعادة، ووصف أهل الجنة وأهل النار.

المبحث الثاني: إثبات وحدانية الله وقدرته وحكمته وعلمه بدليل خلق السماء والإبل والجبال والأرض وغيرها من عجائب الصنعة الإلهية.

المبحث الثالث: تذكير الناس بالرجوع إلى الله عز وجل للحساب والجزاء، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصالة بالتذكير بما أنزل إليه من الشرائع والأحكام.

الخاتمة، وفيها: أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

الفهارس، وفيها: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

هذا، وبالله تعالى التوفيق، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

أولا: تعريف العظمة في اللغة والاصطلاح: العظمة في اللغة مشتق من: (عَظُمَ يَعْظُمُ عظمًا)، أي: كبر، ومنه (العظمة) بفتحتين، أي: الكبرياء.

قال ابن فارس –رحمه الله: "(عظم) العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدلّ على كبر وقوة. فالعظم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عظم يعظم عظما، وعظمته أنا. فإذا عظم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومعظم الشيء: أكثره. وعظمة الذراع: مستغلظها، وهي العظيمة: النازلة الملمة الشديدة.

قال: إن تنج منها تنج من ذي عظيمة *** وإلا فإني لا إخالك ناجيا [٢]

ومن الباب العظم، معروف، وهو سمي بذلك لقوته وشدته "[٣].

وفي الاصطلاح: العظمة ومنه العظيم وهو: الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتّى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته.

ومن صفات الله عز وجل العلي العظيم، ويسبح العبد ربه فيقول: سبحان ربي العظيم.

والعظم في صفات الأجسام: كبر الطول والعرض والعمق، والله تعالى جل عن ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أما الركوع فعظموا فيه الرب)) [٤]، أي: اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة، وعظمة الله سبحانه لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنّه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد.

قال مبارك بن محمد الجزائري في كتابه (رسالة الشرك ومظاهره):" العظمة نوعان:

أحدهما: يختص بالله، وهي التي يشعر بها المرء ولا يعرف منشأها، ويرى لصاحبها عليه سلطة غير محدودة، وهي العظمة الغيبية، ثانيهما: ما يتصف به المخلوق، وهي التي تنشأ عن أسباب معروفة وتقتضي سلطة خاصة، وأسبابها المعروفة: إما الكمال الديني بالعبادة؛ فالولي عظيم لوقوعها منه، والمسجد عظيم لوقوعها فيه، وإما الكمال الدنيوي بالمال والأتباع، كالتي يعرفها أهل الدنيا للملوك والأمراء والأغنياء، وإما الشرف الأصلي، وهو ما للآباء على أبنائهم، والعظمة الغيبية تقتضي عبادة من وصف بها، والتي تحدث

(٢) ينظر: المحاسن والمساوئ (ص:١٥٨)، وقائل البيت هو: صلة بن أشيم.

(٣) مقاييس اللغة (٣٥٥/٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم: (٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عن أسباب لا تقتضي عبادة المتصف بها، ولما كانت العبادة لا تكون إلاّ لله؛ كانت العظمة الغيبية لا تكون إلا له؛ فمن اعتقدها في سواه، فهو مشرك [(٥)].

ثانيا: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة الكريمة بسورة الغاشية؛ لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ (الغاشية:١)، والغاشية: من أسماء يوم القيامة، وهي الداهية التي تغشى الناس بأهوالها، وقد ورد في فضلها ما أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بـ(سبح اسم ربك الأعلى، والغاشية في الجمعة والعيدين) [(٦)].

وأخرج مسلم أيضا أن الضحاك سأل النعمان بن بشير رضي الله عنهما: بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ (الغاشية:١) [(٧)].

وهي من السور المكية، نزلت بعد سورة الذاريات وقبل سورة الكهف، وآياتها ستّ وعشرون آية، وهي تفصيل وتبسيط لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا؛ حيث لما أشار -سبحانه وتعالى-في سورة الأعلى إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالًا، ناسب أن تأْتي هذه السورة عقبها لبسط هذا الكلام وتوضيحه [(٨)].

ومقاصد هذه السورة الكريمة الحديث عن يوم القيامة بأُسلوب يُشَوق إلى سماعه؛ لبيان ما فيه من أَهوال وشدائد، وبلاءٍ وعناءٍ مشيرة إلى أَنّ النّاس يوم القيامة فريقان، فمنهم من لا يرون فيه كرامة عند استقبالهم، وإنما يلقون كل مهانة وعنت ومذلة، ثمّ يدخلون نارًا حامية، ويسقون من عين آنية، ومنهم من يستقبلون ذلك اليوم فرحين مستبشرين بمظاهر الرحمة الواسعة والنعيم المعدِّ لهم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ

---

(٥) رسالة الشرك ومظاهره (ص:٤٠٣).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، برقم (٨٧٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٧) سبق التخريج.

(٨) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء (١٢٧/١)، والبرهان في تناسب سور القرآن (ص:٣٦٢)، وبصائر ذوي التمييز (٥١٦/١)، والتحرير والتنوير (٢٩٣/٣٠).

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ .... ﴾ (الغاشية:١-٢) الآيات، ثمّ ساقت السورة الكريمة الأَدلة والبراهين الواضحة على قدرة الله الباهرة على البعث بما يشاهدونه بأَعينهم، والسماء العظيمة، والجبال الشاهقة، والأَرض المنبسطة: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ... ﴾ (الغاشية:١٧-١٨) الآيات، ثم أَبرزت أَمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتذكير؛ لأَن مهمته الأُولى بالنسبة إِليهم مبينة أَنّه ليس مُسَلَّطًا عليهم فيجبرهم على الإيمان: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ... ﴾ (الغاشية:٢١-٢٢).

وكان ختام السورة المباركة بيان أَن من تولى وكفر بعد هذا التذكير، فسوف يأخذه الله بذنبه ويعذبه العذاب الأَكبر حين يرجع إِليه بعد الموت؛ لأَن رجوعهم جميعًا إِليه، وحسابهم عليه: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ... ﴾ (الغاشية:٢٣-٢٤) الآيات[٩].

ولعظم مقاصد هذه السورة الكريمة، وما اشتملت عليها من المعاني الجليلة كان يقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الصلوات على وجه التحديد، فمن ذلك قراءتها في صلاة العيدين وصلاة الجمعة.

وقال الصنعاني رحمه الله:" وفي سورة سبح، والغاشية من التذكير بأحوال الآخرة، والوعد، والوعيد ما يناسب قراءتهما في تلك الصلاة الجامعة "[١٠].

المبحث الأول

وصف أهوال القيامة، وما يلقاه الكافر والمؤمن فيها من الشّقاء والسّعادة، ووصف أهل الجنة وأهل النّار

افتتاح السورة بالاستفهام عن بلوغ خبر الغاشية مستعمل في التشويق إلى معرفة هذا الخبر؛ لما يترتب عليه من العبرة والموعظة، و(هل) هنا، استفهامية أو أنها بمعنى قد؟ ورجح أبو السعود وغيره: أنها استفهامية؛ للفت النّظر، وشدة التعجب، والتنويه بشأن هذا الحديث، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لم يكن أتاه فأخبره به"، وحديث الغاشية هو خبرها الذي يتحدث عنها "[١١].

---

(٩) ينظر: الأذكار للنووي (ص:٤٨)، والتحرير والتنوير (٢٩٣/٣٠)، والتفسير الوسيط (١٨٨٣/١٠).

(١٠) سبل السلام (٤٠٨/١).

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٤٨/٩)، وتفسير ابن كثير (٣٧٦/٨)، والتحرير والتنوير (٢٩٤/٣٠)، وأضواء البيان (٥٠٨/٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٢)، وأيسر التفاسير (٥٦٠/٥).

قال الله تبارك وتعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الغاشية:١-١٦)، هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يقول له فيه: هل أتاك -أيها الرسول-خبر القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟ إن لم يكن أتاك فقد أتاك الآن إنّه حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها وصعوبة مواقفها واشتداد أحوالها، وإليك عرضاً سريعاً لبعض ما يجري فيها للفريقين، فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجهدة بالعمل متعبة، تصيبها نار حارة شديدة التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف:٢٩)، فهذا شرابهم،

وقال الشعراوي:" ثم يقول تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِي الوجوه بِئْسَ الشراب وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً} (الكهف:٢٩)، الاستغاثة: صَرْخة ألم من متألم لمن يدفع عنه ذلك الألم، كما قال في آية أخرى: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ... ﴾ (إبراهيم:٢٢)، أي: حين يصرخون من العذاب لا أستطيع أنْ أزيل صراخكم، وأنتم كذلك لا تزيلون صراخي.

فأهل النار حين يستغيثون من ألم العذاب: ﴿ يُغَاثُوا۟ ﴾ يتبادر إلى الذِّهْن أنهم يُغَاثُون بشيء من رحمة الله، فتأتيهم نفحة من الرحمة أو يُخفّف عنهم العذاب... لا، ﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ... ﴾ (الكهف:٢٩)، أي: فإنْ طلبوا الغَوْث بماء بارد يخفف عنهم ألم النار، فإذا بهم بماء كالمهل، والمهْل هو عُكَارة الزيت المغلي الذي يسمونه الدُّرْدِيّ، أو هو المذاب من المعادن كالرصاص ونحوه، وهذا يحتاج إلى حرارة أعلى من غَلْي الماء، وهكذا يزدادون حرارة فوق حرارة النار، ويُعذَّبون من حيث ينتظرون الرحمة.

وقوله تعالى هنا: ﴿ يُغَاثُوا۟ ﴾ أسلوب تهكميّ؛ لأن القاعدة في الأساليب اللغوية أنْ تخاطب المخاطب على مقتضى حاله، فتهنئه حال فرحه، وتعزيه حال حزنه بكلام موافق لمقتضى الحال، فإنْ أخرجتَ المقتضى عن الحال الذي يطلبه، فهذا ينافي البلاغة إلا إنْ أردتَ التهكُّمَ أو الاستهزاء.

إذن: فقوله تعالى:﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ... ﴾ (الكهف:٢٩) تهكّم بهم؛ لأن الكلام فيه خرج عن مقتضى الحال، كما يقول الوالد لولده الذي أخفق في الامتحان: مبارك عليك السقوط.

ومعنى:﴿ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ... ﴾ (الكهف:٢٩) أن الماء من شدة حرارته يشوي وجوههم، قبل أن يدخل أجوافهم: ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ... ﴾ (الكهف:٢٩)، أي: الذي يغاثون به ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف:٢٩) المرتفق هو الشيء الذي يضع الإنسان عليه مِرْفقه ليجلس مُستريحاً، لكن بالله هل هناك راحة في جهنم ؟.

إذن: فهذه أيضاً من التهكّم بهم وتبكيتهم، كما قال تعالى مخاطباً جبابرة الدنيا وأعزّتها وأصحاب العظمة فيها مِمَّنْ عَصَوْا الله:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الدخان:٤٩)" [١٢].

وليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو مِن شر الطعام وأخبثه، لا يُسْمن بدن صاحبه من الهُزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه.

وأمّا فريق المؤمنين فوجوههم يوم القيامة ذات نعمة، قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم، وبُسُط كثيرة مفروشة، كما وردت آيات كثيرة في وصفها في القرآن الكريم[١٣].

وقال ابن عاشور رحمه الله:" وهذا وعد للمؤمنين بأن لهم في الجنة ما يعرفون من النعيم في الدنيا وقد علموا أن ترف الجنة لا يبلغه الوصف بالكلام وجمع ذلك بوجه الإجمال في قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾(الزخرف:٧١)، وقال ابن عاشور:" وجملة وفيها ما تشتهيه الأنفس إلخ حال من الجنة، هي من بقية القول، وضمير فيها عائد إلى الجنة، وقد عم قوله: ما تشتهيه الأنفس كل ما تتعلق الشهوات النفسية بنواله وتحصيله، والله يخلق في أهل الجنة الشهوات اللائقة بعالم الخلود والسمو، وتلذ مضارع لذ بوزن علم: إذا أحس لذة، وحق فعله أن يكون قاصرا فيعدى إلى الشيء الذي به اللذة بالباء فيقال: لذ به، وكثر حذف الباء وإيصال الفعل إلى المجرور بنفسه فينتصب على نزع الخافض، وكثر ذلك

---

(١٢) تفسير الشعراوي (٨٨٨٥/١٤).

(١٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٥/٢٠)، وإرشاد العقل السليم (١٥٠/٩)، ونظم الدرر (٣/٢٢)، والتحرير والتنوير (٢٩٣/٣٠)، وأضواء البيان (٥٠٨/٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٢).

في الكلام حتى صار الفعل بمنزلة المتعدي فقالوا: لذه، ومنه قوله هنا: وتلذ الأعين التقدير، وتلذه الأعين، والضمير المحذوف هو رابط الصلة بالموصول، ولذة الأعين في رؤية الأشكال الحسنة والألوان التي تنشرح لها النفس، فلذة الأعين وسيلة للذة النفوس فعطف وتلذ الأعين على ما تشتهيه الأنفس عطف ما بينه وبين المعطوف عليه عموم وخصوص، فقد تشتهي الأنفس ما لا تراه الأعين كالمحادثة مع الأصحاب وسماع الأصوات الحسنة والموسيقى. وقد تبصر الأعين ما لم تسبق للنفس شهوة رؤيته أو ما اشتهت النفس طعمه أو سمعه فيؤتى به في صور جميلة إكمالا للنعمة، و(الأنفس) فاعل تلذ وحذف المفعول لظهوره من المقام"[١٤].

ولكن الأرواح ترتاح بمألوفاتها فتعطاها فيكون نعيم أرواح الناس في كل عصر ومن كل مصر في الدرجة القصوى مما ألفوه ولا سيما ما هو مألوف لجميع أهل الحضارة والترف وكانوا يتمنونه في الدنيا ثم يزادون من النعيم ((ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) [١٥] "[١٦].

وفي هذه الآيات الكريمات مظاهر من أروع مظاهر العظمة الإلهية؛ وذلك أن الآيات قد اشتملت على تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مشوهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب، والإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون.

المبحث الثاني

إثبات وحدانية الله وقدرته وحكمته وعلمه بدليل خلق السماء والإبل والجبال والأرض وغيرها من عجائب الصنعة الإلهية

لما تقدم التذكير بيوم القيامة ووصف حال أهل الشقاء بما وصفوا به، وكان قد تقرر فيما نزل من القرآن أن أهل الشقاء هم أهل الإشراك بالله، فرع على ذلك إنكار عليهم إعراضهم عن النظر في دلائل

---

(١٤) التحرير والتنوير (٢٥/٢٥٥).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم: (٣٢٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/٤٧٢)، وتفسير القرطبي .(٢٠/٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٢)، والتحرير والتنوير (٣٠/٣٠٣)، وأيسر التفاسير (٥/٥٦٠).

الوحدانية، فالفاء في قوله: أفلا ينظرون تفريع التعليل على المعلل لأن فظاعة ذلك الوعيد تجعل المقام مقام استدلال على أنهم محقوقون بوجوب النظر في دلائل الوحدانية التي هي أصل الاهتداء إلى تصديق ما أخبرهم به القرآن من البعث والجزاء، وإلى الاهتداء إلى أن منشىء النشأة الأولى عن عدم بما فيها من عظيم الموجودات كالجبال والسماء، لا يستبعد في جانب قدرته إعادة إنشاء الإنسان بعد فنائه عن عدم، وهو دون تلك الموجودات العظيمة الأحجام، فكان إعراضهم عن النظر مجلبة لما يجشمهم من الشقاوة وما وقع بين هذا التفريع، وبين المفرع عنه من جملة: وجوه يومئذ ناعمة، كان في موقع الاعتراض كما علمت(١٧)، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٠)، أي: أينكر الكفار البعث والجزاء، وما أعد الله سبحانه وتعالى لأوليائه المؤمنين من النعيم المقيم، وما أعد لأعدائه الكفار من عذاب الجحيم، أفلا ينظرون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟(١٨).

وفي التفسير الوسيط:" لما كان البعث من مواضع جدلهم الواسع، ومكابرتهم الزائفة ناسب أن تأتى هذه الآية بعد آية الجدل تحقيقًا للحق، وتبيينًا لأشهر ما يجادلون فيه جهلًا وعنادًا من غير اعتماد على علم أو استنادٍ إلى برهان، على منهاج قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ (يس:٨١)، والمعنى: لخلق السموات والأرض على اتساعهما، وامتداد طولهما وعرضهما، وحكمة نظامهما وما يحتويان من كائنات عظيمة، وما يختلف عليهما من تغاير أطوار، وتباين أحوال، وما يقع فيهما أو عنهما من أحداث - لخلق هذا كله - أكبر وأعظم من خلقه تعالى الناس؛ لأن الناس بالنسبة إلى تلك الأجرام العظيمة والأحداث الهائلة كلا شيء، والمراد: أن من قدر على خلق ذلك فهو سبحانه على خلق ما لا يعد شيئًا بالنسبة إليه بدءًا وإعادة أقدر وأقدر، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾،

(١٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣١٧)، والهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢١٧)، والكشاف (٧٤٢/٤)، والتحرير والتنوير (٣٠٣/٣٠).

(١٨) ينظر: المفردات (ص:٦٠٧)، والتحرير والتنوير (٣٠٣/٣٠)، والتفسير الوسيط (١٨٨٣/١٠).

ولكن أكثر الناس من الكفرة والمشركين لا يعلمون شيئًا من هذا، ولا يتدبرونه تدبرًا يهديهم إلى الحق، ويردهم إلى الإيمان والتصديق، فهو الذي تقتضيه الحكمة اقتضاء ظاهرًا ولكنهم لا يفقهون "(١٩).

وفي هذه الآيات الكريمات مظاهر من أروع مظاهر العظمة الإلهية؛ وذلك أن في الآيات توجيها للأنظار إلى تلك المذكورات الأربعة؛ لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة، وعلى العظمة الإلهية، وعلى البعث، وثم الإقرار لله تعالى بالوحدانية والألوهية، نتيجة لإثبات ربوبيته تعالى لجميع خلقه، فأمّا الإبل: فلعلها أقرب المعلومات للعرب، وألصقها بحياتهم في مطعمهم من لحمها ومشربهم من ألبانها، وملبسهم من أوبارها وجلودها، وفي حلهم وترحالهم بالحمل عليها، مما لا يوجد في غيرها في العالم كله لا في الخيل ولا في الفيلة، ولا في أي حيوان آخر، وقد وجه الأنظار إليها مع غيرها في معرض امتنانه تعالى عليهم في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس: ٧١-٧٣).

وكذلك في خصوصها في قوله تعالى:﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل:٥-٧).

ألا يدل هذا الصنع العجيب على قدرة الخالق على إحياء الموتى، وعلى العظمة الإلهية !؟ إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها البتة، وكل منها دليل على القدرة بذاته.

وأما الجبال: فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت، ويشغل تفكيرهم في كل حين؛ لقربها من حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها، والمقيل في كهوفها وظلها، والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها، وقد وجه الأنظار إليها أيضا في موطن آخر في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ:٦-٧)، أي: ثوابت كما بين تعالى أنها رواسي للأرض أن تميد بكم والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم.

ألا يدل هذا على قدرة الخالق وعظمته الباهرة !؟

---

(١٩) التفسير الوسيط (٦٥٣/٨).

وأمّا السماء ورفعها، أي: ورفعتها في خلقها، وبدون عمد ترونها، وبدون فطور أو تشقق على تطاول زمنها، فهي أيضا محط أنظارهم، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم، ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات الله الدالة على البعث والنشور، وفي ذلك العظمة الإلهية ما لا يخفى.

وأما الأرض وكيف سطحت، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر:٥٧)، قال السعدي:" يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض –على عظمهما وسعتهما–أعظم وأكبر، من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة، بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالا لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث.

وليس كل أحد يجعل فكره لذلك، ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال"[٢٠].

لقد أكّد سبحانه هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على الشيء العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار، فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (يس:٨١) فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا، فيردها إلى حالتها الأولى، كما في هذه الآية أيضا: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر:٥٧) [٢١].

وقوله: ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ آية ثابتة؛ لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها، فإنها ترى مسطحة، أي: من النقطة التي هي في امتداد البصر، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها؛ لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حدا بعيدا يكاد سطحه يرى مسطحا من نقطة النظر إليه، وفي كل ذلك آيات

(٢٠) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٠).

(٢١) ينظر: التفسير الموضوعي (ص:٨٦).

متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم، وفي ذلك بيان العظمة الإلهية وقدرته الباهرة [٢٢].

المبحث الثالث

تذكير الناس بالرجوع إلى الله عز وجل للحساب والجزاء، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصالة بالتذكير بما أنزل إليه من الشرائع والأحكام

لما كان أول السورة تذكير بالغاشية وما اتصل بها من ذكر إعراضهم وإنذارهم، رتب على ذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالدوام على تذكيرهم وأنه لا يؤيسه إصرارهم على الإعراض وعدم ادكارهم بما ألقى إليهم من المواعظ، وتثبيته بأنه لا تبعة عليه من عدم إصغائهم؛ إذ لم يبعث ملجئا لهم على الإيمان، فالأمر مستعمل في طلب الاستمرار والدوام، وإن مجيء هذا الأمر بالفاء في هذا الموطن، فإنه يشعر بأن النظر الدقيق والفكر الدارس، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الاستدلال على وجود الله وعلى قدرته، كما نطق مؤمن الجاهلية: قس بن ساعدة، في خطبته المشهورة: ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، فقد ذكر السماء، والجبال، والأرض[٢٣].

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية:٢١-٢٦)، أي: فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان، لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصرَّ على كفره، فيعذبه الله العذاب الشديد في النار، إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت، ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا[٢٤].

وفي هذه الآيات الكريمات مظاهر من أوضح مظاهر العظمة الإلهية؛ وذلك فإنه كان على هؤلاء العقلاء أن ينظروا بدقة وتأمل، فيما يحيط بهم عامة، وفي تلك الآيات الكبار خاصة، فيجدون فيها ما يكفيهم للاهتداء ومعرفة العظمة الإلهية، فإذا لم يهدهم تفكيرهم، ولم تتجه أنظارهم، فذكرهم إنما أنت مذكر، وهذا

---

(٢٢) ينظر: جامع البيان (٣٢٦/٢٤)، والكشف والبيان (١٨٧/١٠)، والتحرير والتنوير (٣٠٣/٣٠).

(٢٣) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير (٤١٧/٦)، والتحرير والتنوير (٣٠٣/٣٠)، وتفسير العثيمين: جزء عم (ص:١٧١).

(٢٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٠٧/٥)، ومفاتيح الغيب (١٣٨/٣١)، والتحرير والتنوير (٣٠٣/٣٠).

عام، أي: سواء بالدلالة على القدرة من تلك المصنوعات، أو بالتلاوة من آيات الوحي، والعلم عند الله تعالى، ومن الواضح مجيء ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾، بعد قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾؛ تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتخويفا لأولئك الذين تولوا وأعرضوا، ثم إن الحساب في اليوم الآخر ليس خاصا بهؤلاء، بل هو عام بجميع الخلائق، ولكن إسناده لله تعالى مما يدل على المعاني المتقدمة، وفي الآيات السابقة تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به، وفي ذلك دلالة واضحة على العظمة الإلهية وقدرته، وفيها بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص:٥٦)، قال البقاعي رحمه الله:" ولما كان من المعلوم أن نفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما جبلت عليه من الخير والمحبة لنفع جميع العباد، لا سيما العرب، لقربهم منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم تتأثر بسبق أهل الكتاب لقومه، وكان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير في دعائه أو إرادته لذلك، وأنه لو أراد هدايتهم وأحبها، وعلق همته العلية بها لاهتدوا، أجيب عن هذا بقوله تعالى في سياق التأكيد إظهاراً لصفة القدرة والكبرياء والعظمة: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾، أي نفسه أو هدايته بخلق الإيمان في قلبه، وإنما في يدك الهداية التي هي الإرشاد والبيان، ولما كان ربما ظن من أجل الإخبار بتوصيل القول وتعليله ونحو ذلك من أشباهه أن شيئاً من أفعالهم يخرج عن القدرة، قال نافياً لهذا الظن مشيراً إلى الغلط في اعتقاده بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ﴾ المتردي برداء الجلال والكبرياء والكمال وله الأمر كله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ هدايته بالتوفيق إلى ما يرضيه:﴿ وَهُوَ ﴾، أي: وحده ﴿ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، أي: الذين هيأهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم، فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا من أهل الكتاب أو العرب، أقارب كانوا أو أباعد، روى البخاري في التفسير عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه: (قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيره، فقال:((أي عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله))، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((والله لأستغفرن لك ما لم

أنه عنك)) [٢٥]؛ فأنزل الله عز وجل:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ (التوبة:١١٣)، وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾، الآية "[٢٦]، وقال ابن جرير الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ هدايته﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك "[٢٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

وكما فيها بيان أن مصير البشرية إلى الله تعالى وهي حال تقتضي الإيمان به تعالى وطاعته طلبا للنجاة من عذابه والفوز برحمته، وهو مطلب كل عاقل لو أن الناس يفكرون، كما قال في آية أخرى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات:٥٠)،كل شيء إذا خفت منه فررت منه إلا الله سبحانه وتعالى، فإنك إذا خفت منه تفر إليه، وقال ابن عاشور:" بعد أن بين ضلال هؤلاء في تكذيبهم بالبعث بيانا بالبرهان الساطع، ومثل حالهم بحال الأمم الذين سلفوهم في التكذيب بالرسل وما جاءوا به جمعا بين الموعظة للضالين وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكانت فيما مضى من الاستدلال دلالة على أن الله متفرد بخلق العالم وفي ذلك إبطال إشراكهم مع الله آلهة أخرى أقبل على تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يستخلصه لهم عقب ذلك بأن يدعوهم إلى الرجوع إلى الحق بقوله: ففروا إلى الله فالجملة المفرعة بالفاء مقول قول محذوف والتقدير: فقل فروا، دل عليه قوله: إني لكم منه نذير مبين فإنه كلام لا يصدر إلا من قائل ولا يستقيم أن يكون كلام مبلغ"[٢٨].

---

(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم: (١٣٦٠)، من حديث المسيب رضي الله عنه.

(٢٦) نظم الدرر (٣١٧/١٤).

(٢٧) جامع البيان (٥٩٨/١٩).

(٢٨) التحرير والتنوير (١٨/٢٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإنني قد خلصت في ختام هذا البحث إلى عدد من النتائج، ومنها ما يلي:

أولا: اختلاف أسلوب الخطاب فيما نزل من القرآن الكريم بمكة المكرمة عما نزل بالمدينة المنورة.

ثانيا: إكثار السور المكية من تقرير عقيدة توحيد الله سبحانه وتعالى، ونفي الأنداد والشريك، واستحقاق الله بالعبادة وحده لا شريك له.

ثالثا: تطرق السور المكية إلى النظر في الكون والتأمل في تعدد المخلوقات، وتنوع الكائنات؛ للدلالة على أنه الخالق هو المستحق للألوهية على وجه الخصوص دون الند والشريك.

رابعا: تعد سورة الغاشية من أوائل السور التي نزلت من القرآن الكريم.

خامسا: قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه السورة في العيدين والجمعة؛ لما حوته من جليل المعاني، والتي تستوجب إعادة النظر فيها وتدبرها أكثر من مرة.

سادسا: أشارت السورة إلى كمال القدرة الإلهية وأن المتصرف المطلق في الكون هو الله تعالى، وهذا مما يستوجب إخلاص العبادة له جل وعلا.

سابعا: اشتمال السورة على الإيمان بيوم القيامة، وما فيه من شدائد وأهوال، والذي لا يصح إيمان المسلم من دونه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأذكار النووية، أو حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: محيي الدين مستو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثانية،١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء:١.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥مـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥.

البرهان في تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م، عدد الأجزاء:١.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للمؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، النّاشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء:٦.

التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للمؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر:١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء:٣٠.

تفسير أبي السعود = **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى:٩٨٢هـ)، النّاشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت.

تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى:١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء:٢٠.

تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للمؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:٧٧٤هـ)، المحقق: محمّد حسين شمس الدّين النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى:١٤١٩هـ.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للمؤلف: د/وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر–دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء:٣٠.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ–١٩٧٣م)–(١٤١٤هـ–١٩٩٣م)، عدد المجلدات:١٠ مجلدات.

تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى:٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:٨.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للمؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، النّاشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، عدد الأجزاء:١.

التيسير في أحاديث التفسير، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ). الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. عدد الأجزاء: ٦.

جامع البيان في تأويل القرآن، للمؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، عدد الأجزاء:٢٤.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، للمؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر

الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء:٩.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

جمال القراء وكمال الإقراء، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

رسالة الشرك ومظاهره، المؤلف: مبارك بن محمد الميلي الجزائري (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، عدد الأجزاء: ١.

سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، لكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٢.

سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السيستاني (المتوفى:٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء:٤.

سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م، عدد الأجزاء:٥ أجزاء.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة –١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ- ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٠.

لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء:١٥.

المحاسن والمساوئ، المؤلف: إبراهيم بن محمد البيهقي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ).

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للمؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية–لبنان–١٤١٣هـ–١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء:٥.

مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى:٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، عدد الأجزاء:١.

مختصر سنن أبي داود، المؤلف: الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى:٦٥٦هـ)، المحقق: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،١٤٣١هـ–٢٠١٠م، عدد الأجزاء:٣.

مسند أحمد بن حنبل، للمؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (المتوفى:٢٤١هـ)، المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، عدد الأجزاء:١٢.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للمؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء:٥.

معاني القرآن وإعرابه، للمؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى:٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب–بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، عدد الأجزاء:٥.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

مقاييس اللغة، للمؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر:١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، عدد الأجزاء:٦.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس).

Manifestations of God Greatness in Surat Al-Ghashiyat: An Objective Study

Khalid bin Mohammed bin Saleh Al-Shahrani

Department of the Holy Quran and Its Sciences-Faculty of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, KSA

Abstract. It is not secret to the dear book contemplator and contemplator of the diversity of the Qur'anic discourse and the multiplicity of its methods, and this appears clearly and evidently through the comparison between the Meccan and Medinan suras; Where the Meccan surahs were distinguished by the methods of dialogue and argumentation, and they were specialized in the subjects of divinity and the manifestations of divine greatness, because they were revealed in a situation of realistic struggle with the stubborn infidels and the lying and ungrateful enemies. Surah Al-Ghashiya is one of those great Meccan surahs that included an enumeration of the manifestations of divine greatness, and the determination of the attributes of divinity in order to acknowledge absolute divinity and comprehensive .servitude This research comes in the context of revealing some of these great and venerable manifestations, standing with them, extracting lessons from them, and reflecting on their meanings.

Keywords: Manifestations, Greatness, Surah, Al-Ghashiyat.